علم اجتماع الرياضة: رؤى نظرية وقضايا تطبيقية

خالد كاظم أبو دوح*

بالرغم من إن الرياضة كممارسة اجتماعية عامة، ظهرت منذ فجر الحياة الإنسانية، إلا أنها كشكل من أشكال النشاط البدنى والترفيهى المنظم، ظهر مع عملية إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الصناعية فى القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الحين تعتبر من السمات الثقافية للحداثة وما بعدها، وبالرغم من كل ذلك، فإن التطور المنظم للرياضة كحقل للدراسة الاجتماعية والثقافية ظل على على هامش الاهتمام الأكاديمى، سواء فى علم الاجتماع، أو العلوم الاجتماعية والبينية الأخرى.

بناء على ذلك، سعت الدراسة إلى تقديم رؤية تحليلية ونقدية حول علم اجتماع الرياضة فى الفكر الغربي، ودراسة أصوله ومسارات تطوره على خلفية الخيال السوسيولوجى، وأهم الاتجاهات النظرية، التى حاولت تفسير الرياضة كظاهرة فى غالبية المجتمعات، واختتمت الدراسة بعرض عدد من قضايا الرياضة وإشكالياتها فى الوقت الراهن، بما يفتح آفاقًا معرفية وبحثية للمهتمين بعلم اجتماع الرياضة؛ وذلك من خلال منهجية تحليلية ونقدية، للتراث العلمى فى علم الاجتماع الغربى.

الكلمات المفتاحية: علم اجتماع الرياضة، الرياضة، العولمة.

مقدمة

تعتبر الرياضة Sport بأشكالها المختلفة وتجسيداتها المتعددة منذ نشأة الإنسان على الأرض حتى وقتنا هذا من الممارسات الاجتماعية الشائعة عبر الحياة اليومية، إنها لا تظهر فقط عند اللعب أو التدريب أو المشاهدة، بل يمكن أن تظهر بعدة طرق، مثل: التليفزيون والإعلانات، ومواقع التواصل الاجتماعى، وعبر الأزقة الضيقة فى حوارى القرى، والشوارع الرئيسة فى المدن الكبرى، إنها أحد العوالم الاجتماعية التى يصنعها البشر عبر تفاعلاتهم الاجتماعية وممارساتهم الحياتية؛ ولذلك هى جزء أساسى من العالم الاجتماعى الذى نعيش فيه، سواء شاركنا فيها أم لا.

* أستاذ علم الاجتماع المساعد، جامعة سوهاج، مصر.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الواحد والستون، العدد الثالث، سبتمبر ٢٠٢٤.

وتوفر المشاركة الروتينية فى الأنشطة الرياضية وممارساتها بشكل منتظم فوائد اجتماعية وصحية عديدة، فهى لا تؤثر على اللياقة البدنية تأثيرًا كبيرًا فحسب، بل تجدر لدى الممارسين خيارات سياسات الحياة الصحية، وترفع معدلات نشاطهم، كما تسهم فى تحقيق السلامة والصحة البدنية، بغض النظر عن العمر أو الجنس أو العرق، فهى ممارسة عادلة فى ذاتها، يمكن أن يستمتع بها الجميع، ويمارسها بالشكل والطريقة والأدوات التى تتناسب مع سماته الاجتماعية المختلفة، سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو البيئية، لذلك يستطيع الأفراد أن ينتجوا ممارسة الرياضة بما يتناسب مع الفضاءات المكانية والأدوات اللازمة، التى تتوفر فى سياقهم الاجتماعى الذى يعيشوا فيه.

وبقدر ما كانت الرياضة ممارسة اجتماعية وتفاعلية، تجمع بين الأفراد فى اصطفاف اجتماعى محدد، فهى تقسمهم أيضًا على أسس رياضية ومجتمعية وعبر ثقافية، ومن سماتها التنافس والتعايش والتعاون والمواجهة والقوة والهيمنة، كما أن النضالات التى تتضمنها الرياضة، تمثل حالة ثرية، تسلط الضوء على العديد من الأسئلة الاجتماعية الأوسع، على سبيل المثال: إن الإجابة على سؤال ما الرياضة؟ تتطلب فهم مجموعة متنوعة من الممارسات الاجتماعية والقواعد والضوابط الحاكمة للرياضة، وهذا يعنى أن فهم ماهية الرياضة، يتطلب تحليلًا للمجتمع الذى تنتج فى سياقاته الممارسات الرياضية.

وتعتبر الرياضة من الأنشطة المهمة التى يقوم بها الإنسان، ويتجسد فى كل مجتمع شكل ما من أشكال الرياضة، بغض النظر عن درجة تقدمه، وقد أدركها الإنسان عبر أزمنة وحضارات متعددة، وإن اختلفت توجهات كل حضارة بشأنها، فهناك حضارات اهتمت بالرياضة لاعتبارات عسكرية، والبعض الآخر مارس الرياضة لشغل أوقات الفراغ، وكوسيلة من وسائل الترفيه والترويح، وهناك حضارات اعتبرت الرياضة آلية من آليات التنشئة الاجتماعية، ولقد مرت الرياضة بتطورات عميقة، استجابة لمختلف التغيرات التى شهدها العالم، حتى أصبحت فى السنوات الأخيرة مع العولمة وعملياتها المختلفة سلعة رائجة أو تجارة مربحة، وصناعة تتشكل من خلال ما بعد الحداثة وتوجهاتها.

وبالرغم من أن الرياضة كممارسة اجتماعية، ظهرت منذ فجر الحياة الإنسانية، فإنها كشكل من أشكال النشاط البدنى والترفيهى المنظم، ظهرت مع عملية إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الصناعية فى القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الحين تعتبر من السمات الثقافية للحداثة، وبالرغم من كل ذلك، فإن تطور الرياضة المنظمة كميدان اجتماعى وثقافى مهم ظل على هامش الاهتمام الأكاديمى، سواء فى علم الاجتماع، أو العلوم الاجتماعية الأخرى.

بناءً على ما سبق، تسعى الدراسة إلى تقديم رؤية تحليلية ونقدية حول علم اجتماع الرياضة، ودراسة أصول هذا الفرع من فروع علم الاجتماع ومسارات تطوره على خلفية الخيال السوسيولوجي، وكيف فسرت الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع والعلوم ذات الصلة بالرياضة كظاهرة وممارسة عامة ومنتشرة فى غالبية المجتمعات، وتختتم الدراسة بعرض عدد من قضايا الرياضة وإشكالياتها فى ظل مجتمعات ما بعد الحداثة، بما يفتح آفاقًا معرفية وبحثية للمهتمين بعلم اجتماع الرياضة.

وللمزيد من التحديد الموضوعى للدراسة، يمكن صياغة ما تسعى إلى تحقيقه فى عدد من التساؤلات، وذلك على النحو التالى: الأول: ما تعريف علم اجتماع الرياضة؟ الثانى: ما المقاربات النظرية التى فسرت الرياضة فى علم الاجتماع والعلوم البينية الأخرى؟ الثالث: ما أهم قضايا علم اجتماع الرياضة وإشكالياته فى عصر ما بعد الحداثة؟

ولتقديم الإجابة الوافية عن هذه التساؤلات، اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي، وأدوات النقد والتفسير التى يوفرها علم الاجتماع النظرى، من خلال تقديم رؤية تحليلية ونقدية للتراث العلمى ذو الصلة بموضوع الدراسة وأهدافها وتساؤلاتها.

أولًا: التعريف بعلم اجتماع الرياضة

بالرغم من أن الرياضة المنظمة أصبحت مجالًا من مجالات الحياة الاجتماعية، وذات أهمية متزايدة خلال العقود الماضية، وتجذب انتباه ووقت وموارد ومجهود الملايين من الأفراد حول العالم، إضافة إلى أهميتها كشكل ثقافي، ونشاط مرتبط بكافة المجالات الاجتماعية، ويمكن من خلالها الاستدلال على العديد من سمات المجالات الأخرى، فإن الاهتمام السوسيولوجى بهذا المجال ظل محدودًا، سواء على المستوى العالمى أو على المستوى العربي، ويتطلب هذا الوضع تقديم مقاربة تعريفية مختصرة عن مفهوم الرياضة، وأصول علم اجتماع الرياضة.

١- الرياضة: التعريف والأبعاد

تجرى على ألسنة غالبية البشر فى حوارات الحياة اليومية، كلمات مثل: "الرياضة"، "اللعب"، "الألعاب"، بشكل فضفاض إلى حد ما، وفى بعض الأحيان نتعامل معها كمترادفات، وبينما لا يكون ذلك مشكلة فى أحاديثنا اليومية، إلا أنه من المهم ضبط مفهوم الرياضة فى سياق الدراسة والتحليل العلمي، خاصة وأن التحليل المتعمق لمعانى هذه الكلمات المتداولة، سينتج اختلافات مثيرة، على سبيل المثال: المشاركة الرياضية والمشاهدة قد تنتج أنواعًا مختلفة من المشاعر، عن تلك الناتجة عن أنشطة اللعب غير التنافسية، كما أن المشاركة فى التمارين البدنية قد تكون أكثر فائدة للصحة والسلامة الجسدية من المشاركة الرياضية التنافسية (احتمالات الألم والإصابة)[١].

ويجادل "ألين غوتمان" Allen Guttmann بأن اللعب Play هو أى نشاط بدنى غير منظم، ولا يتضمن بنية تنظيمية محددة أو تنافسية، ويعنى هذا أن المتعة تكمن فى فعل شىء ما بدلًا من تحقيقه، كما أن اللعب ذاتي، يشارك فيه الشخص "كغاية فى حد ذاته، وليس وسيلة لتحقيق غاية خارجية"، مثل: أن يقوم الشخص بتسديد بعض التصويبات بالكرة فى الجدار المقابل له. أما مفهوم الألعاب Games، فيشير إلى شكل من أشكال اللعب الأكثر تنظيمًا، ويتضمن الحد الأدنى من القواعد والأدوات، والألعاب قد تكون تنافسية أو غير تنافسية، مثل: أن يقوم شخصان بلعب مباراة كرة قدم مع بعضهما (واحد ضد واحد). أما الرياضة sports فهى شكل من الألعاب يتميز بالتنظيم العالى والتنافسية، وتخضع لقواعد محددة ومتعارف عليها عالميًا أو وطنيًا[٢].

وتعتبر الرياضة بشكل عام مظهرًا من مظاهر التنظيم التنافسى، الذى يعتمد على النشاط البدنى، وظاهرة مركبة ترتبط بالعديد من المجالات الاجتماعية (المجال السياسى، المجال التجارى، المجال الإعلامى ...إلخ)، وتتضمن العديد من الأدوار التى يمكن للفرد أن يؤديها، مثل: الفرد الرياضى، الفرد المتفرج، الفرد المستثمر، الفرد العامل، كما أنها ظاهرة عامة؛ حيث إن كل مجتمع من المجتمعات يدرك شكلًا معينًا من الرياضة[٣].

الشكل رقم (١) أبعاد مفهوم الرياضة

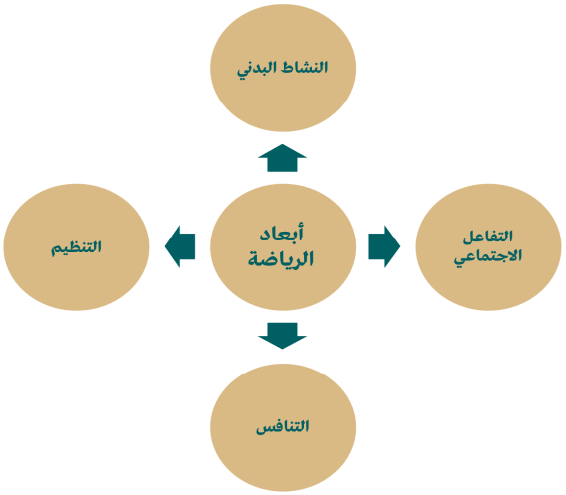

وبشكل عام، يتضمن مفهوم الرياضة عددًا من الأبعاد الاجتماعية وغير الاجتماعية كما هو موضح فى الشكل رقم (١)، والتى ترتبط بالفهم السوسيولوجى للمفهوم، ويمكن تحليل هذه الأبعاد على النحو التالى:

أ- **النشاط البدنى:** تعتمد الرياضة على بذل المجهود البدنى والعضلي، وتقوم على القدرات والإمكانات الجسدية والحركية، والتى تتيح للفاعل الاجتماعى (الممارس للرياضة) التوظيف الجيد لمعطيات جسده، وهنا يمثل الجسد شكلًا من أشكال رأس المال أو القوة- وفق رؤية بورديو- ويمكن من خلاله تحقيق التميز والمنافسة مع الآخرين، والوصول لمستويات مختلفة من المنافع الإيجابية[٤].

ب-**التنافس البدنى:** تبدو قيمة التنافس ركيزة محورية فى الرياضة؛ حيث إن وجود التنافس الرياضى يعزز الدافع لدى الأشخاص لمتابعة الأحداث والمباريات الرياضية المختلفة، وإذا غابت هذه القيمة، ستفقد الرياضة جزءًا كبيرًا من الاهتمام الجماعى بها. ولقد أشار "نوربرت إلياس" إلى أن التنافس يضفى من خلال ممارساته وقواعده طابعًا منظمًا على العنف البدنى الممارس فى الرياضة، ويحمى الجماعة من صراعات أكثر دموية، كما أنه يدعم قيم الانتماء إلى الجماعة نفسها[٥].

ج- **التنظيم والقواعد:** تعكس الرياضة فكرة التنظيم، حيث تشتمل على أفراد منتمين إليها، ومدافعين عنها، سواء أكانوا لاعبين أو مشاهدين أو غير ذلك، وإمكانات وتسهيلات ومنشآت خاصة تتمثل فى الأجهزة والأدوات الرياضية، والأجهزة الفنية، وتتصف الرياضة بالتنظيم الدقيق لمنافساتها وفق قواعد إدارية محددة سلفًا، وتخضع لسيطرة المنظمات البيروقراطية والاتحادات المعنية، ومستويات من الانضباط وفق قواعد اللعب، وأخيرًا تتميز المناسبات الرياضية المختلفة بمراسم احتفالية معينة، كما أن لها قواعد أخلاقية فى التعامل مع المنافس، وحتى أكثر الأشكال غير الرسمية- على سبيل المثال: الأطفال الذين يلعبون كرة القدم فى الشارع- تحكمهم وتنظمهم قواعد من نوع ما[٦].

د- **التفاعل الاجتماعى:** تتضمن الرياضة بعدًا اتصاليًا، يلقى بتداعياته على شكل التفاعل بين الأفراد، فهى تنطوى على معانٍ عميقة ترتبط فى تحليلها النهائى بمجموع العلاقات الاجتماعية؛ حيث إن النشاط البدنى ذاته لا يعدو أن يكون مجرد جزء من ممارساتها الاجتماعية المختلفة، كما أنها يمكن أن تتضمن حوارًا رمزيًا بين المشاركين فيها، يكشف أشياء عن ذوات الأفراد وسماتهم المختلفة، وكأن الرياضة لعبة أخلاقية واجتماعية ورمزية، تكشف الحقائق الأساسية عنا كأفراد وجماعات ومجتمعات، وتحرك الأشخاص عاطفيًا، وتخلق بينهم حالة اجتماعية مميزة[٧].

من التحليل السابق، يمكن الإشارة إلى أن علم اجتماع الرياضة هو أحد فروع علم الاجتماع الذى يهتم بالدراسة الاجتماعية للرياضة، وتطبيق المقاربات النظرية فى علم الاجتماع عليها، باعتبارها ظاهرة وممارسة اجتماعية منتشرة فى كافة المجتمعات؛ علاوة على أنها شكل من أشكال الفعل الجمعي، الذى يمارسه الأفراد من خلال سلوكيات اجتماعية وآليات تواصل وقواعد محددة، مما ينتج ممارسات بدنية وترفيهية واحتفالية متعددة، ويتحدد كل هذا فى إطار علاقته بالبنى الاجتماعية والثقافية وسمات السياق الاجتماعى الذى تتم فى إطاره ممارسة الرياضة.

٢- أصول علم اجتماع الرياضة وتطوراته المعاصرة

تاريخيًا، كان يُنظر إلى الرياضة بأنها موضوع غير جدير بالدراسة الأكاديمية الجادة، وقد يرجع ذلك لعدد من الأسباب؛ أولها: سيطرة وجهة النظر المستمدة من فلسفة "ديكارت" Descartes التى تتلخص فى أن العقل يختلف عن الجسد ويتفوق عليه، وأن الرياضة هى بالأساس نشاط جسدي. الثانى: وجهة النظر قصيرة المدى، التى تتلخص فى أن علم الاجتماع يجب أن يهتم بتغيير العالم، ومواجهة ما يحدث فيه، بدلًا من المساهمة فى المعرفة بشكل عام، والرياضة مسألة هامشية فى مثل هذا التوجه. الثالث: ما بعد "ماركس"، كانت الأولوية للاهتمام بالإنتاج والاقتصاد، بدلًا من الترفيه والممارسات غير المنتجة (مثل الرياضة)[٨].

إلا أنه فى زمن الحداثة المتأخرة، ومع مراجعة العديد من الأفكار السابقة، وتراجع الاهتمام بالماركسية، وتنامى التركيز على الاستهلاك وتسليع الأشياء والممارسات المختلفة، والتغيرات الجزئية التى حدثت فى الرياضة وطبيعتها، ظهر اعتراف متزايد بأهمية الرياضة، سواء على المستوى الاجتماعى، أو الاقتصادي، أو السياسى، أو الثقافى.

حيث أصبحت الرياضة فى المجتمعات ذات الاقتصاديات الحديثة، والوصول السهل لوسائل الإعلام والإنترنت، جزءًا مهمًا من الحياة اليومية، وغالبًا ما تكون جزءًا من الهويات الفردية والأسرة والعمل والعلاقات الشخصية، وتتغلغل فى المجتمع وصولًا للمستوى السياسى، وبالرغم من ذلك، لم يوجه العلماء انتباههم إلا مؤخرًا إلى الدراسة الاجتماعية للرياضة[٩]. ويعتبر علم اجتماع الرياضة أحد التخصصات الفرعية والجديدة نسبيًا فى علم الاجتماع، ويدرس الأفعال والممارسات والتفاعلات والعمليات والأبنية الرياضية، وعلاقة الرياضة كمجال اجتماعى بمختلف البنى الاجتماعية الأخرى.

ووفق هذا المعنى، بدأ علم اجتماع الرياضة Sociology of Sport، فى الظهور كمجال فرعى معترف به رسميًا فى علم الاجتماع، خلال النصف الثانى من القرن العشرين، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود بعض الإشارات السابقة لذلك التاريخ، والتى تعبر عن شكل من الاهتمام الاجتماعى بمجال الرياضة، على سبيل المثال: أشار "ثورشتاين فبلن" Veblen فى كتابه "نظرية الطبقة المترفة"[١٠] إلى الرياضة باعتبارها من علامات التطور الروحى، وتعامل كل من "دبيلو توماس" W. Thomas و"جى إى هوارد" G. E. Howard مع غريزة الألعاب، وعلم النفس الاجتماعى للمتفرج، فى مقالات نشرت فى المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع، كما أشار عدد آخر من رواد علم

الاجتماع (مثل: جورج زيمل، ماكس فيبر، جورج هربرت ميد وغيرهم، إلى مفاهيم اللعب والألعاب، ولكن ربما كان الألمانى "هاينز ريس" Heinz Risse، هو أول من وصف الرياضة بأنها مجال دراسة فى علم الاجتماع[١١]. وتأكد فى أكثر من موضع، أن الكتاب الذى ألفه "هاينز" قبل حوالى مئة عام، كان بمثابة أول دراسة تم تخصيص عنوانها بشكل صريح لعلم اجتماع الرياضة (Soziologie des Sports).

وبالرغم من ظهور هذه النصوص المبكرة لعلم اجتماع الرياضة، فإن الانضباط النظرى والمنهجى للعلم لم يتطور حتى أوائل منتصف الستينيات، وقد قام عدد من العلماء فى كل من التربية البدنية وعلم الاجتماع بتشكيل اللجنة الدولية لعلم اجتماع الرياضة، فى عام ١٩٦٥، ويمثل علم اجتماع الرياضة دوليًا من قبل الرابطة الدولية لعلم اجتماع الرياضة، والتى تصدر المجلة الدولية لعلم اجتماع الرياضة، وتعتبر هذه الهيئة بمثابة لجنة بحثية تابعة للجمعية الدولية لعلم الاجتماع، وهى أيضًا لجنة رسمية فى المجلس الدولى لعلوم الرياضة والتربية البدنية، ومنذ تأسيس هذه اللجان والمؤسسات، أصبح من الواضح أن مجال علم اجتماع الرياضة، يرسخ نفسه كحقل بحثى خاص، وتحتل اللجنة الدولية وجمعياتها العلمية مكانة بارزة فى هذا المسعى[١٢].

ومنذ منتصف الستينيات، تم عقد العديد من الندوات والمؤتمرات السنوية، وتم تقديم العديد من الدراسات والبحوث النظرية والتطبيقية فى مجال علم اجتماع الرياضة، وبدأ الباحثون من خلفيات مختلفة فى تطوير تعريفات اجتماعية للرياضة، وإجراء أعمال رائدة فى مختلف جوانب الرياضة كظاهرة اجتماعية، مثل: الرياضة والتنشئة الاجتماعية، الرياضة والطبقات، الرياضة والثقافات الفرعية، الاقتصاد السياسى للرياضة، الرياضة والانحراف، وعلاقة الرياضة بالإعلام والجسد والعواطف، والعنف والتعصب فى المجال الرياضى، ولقد طور الانضباط المنهجى والنظرى الآن فهمًا متطورًا لكيفية مشاركة الناس فى الرياضة، وعلاقة الرياضة بمختلف المجالات الاجتماعية الأخرى[١٣].

ولقد ميز "دومينيك مالكولم" Dominic Malcolm بين ثلاثة أنواع من التراث العلمى فى علم اجتماع الرياضة: الأول: النصوص الاجتماعية الكلاسيكية، التى تتناول الرياضة كجزء من تحليل أوسع. الثانى: النصوص التى يتم تعريفها على أنها تتناول الرياضة من منظور غير اجتماعى، أو

التى تتناول الأنشطة المتعلقة بالرياضة بدلًا من الرياضة فى حد ذاتها. الثالث: نصوص متنوعة تركز على الرياضة وذات توجه اجتماعى(١٤).

وبشكل عام، يمكن تصنيف المراحل التى مر بها علم اجتماع الرياضة خلال العقود الست الماضية، إلى أربع مراحل أساسية: المرحلة الأولى: المرحلة التبشيرية، واستمرت خلال الستينيات من القرن الماضى، والمرحلة التعليمية، خلال السبعينيات، والمرحلة التخصصية، خلال الثمانينيات، وأخيرًا المرحلة العالمية أو الدولية، من التسعينيات حتى الوقت الحاضر(١٥).

٣- الرياضة على خلفية الخيال السوسيولوجى

يشير الخيال إلى مجموعة من العمليات الحسية والإدراكية والمعرفية وما وراء المعرفية، التى تكون الصور الداخلية، وتحولها وتحللها وتركبها وتنظمها فى أشكال جديدة، يجرى تجسيدها بعد ذلك فى أعمال وتشكيلات خارجية، وهو طريقة للاستكشاف والتجوال العقلى، على نحو إرادى مرن واحتمالي، وعملية التَّنْظِير وبناء النظرية فى علم اجتماع الرياضة، لم تكن عملية خطية لحل المشكلات، بل هى عملية خطية من الخيال المنظم المنضبط، والخيال المنظم عملية تطورية لبناء النظريات، تتميز بالتفكير المتزامن وليس المتسلسل. ويتطلب الخيال المنظم دورًا نشيطًا للباحثين فى تفسير التصورات والتمثيلات النظرية، بدلًا من التعامل معها باعتبارها تنتج بشكل استقرائى وطبيعى من مشكلات البحث، بمعنى آخر أن منطق الاكتشاف العلمى بما فى ذلك التَّنْظِير، هو مسألة استدلال، وليس منطقًا فقط، أى يتألف من القدرة على الاستنباط والتنبؤ(١٦).

على هذا النحو، يوفر الخيال الاجتماعى Sociological Imagination، وهو مفهوم صاغه عالم الاجتماع الأمريكى "سى رايت ميلز" C. Wright Mills (١٩١٦- ١٩٦٢) إطارًا لفهم الرياضة فى عالمنا الاجتماعى، يتجاوز بكثير أى فكرة منطقية قد نستمدها من تجاربنا الاجتماعية المحدودة، ويقدم المفهوم نظرة ثاقبة فى الحياة اليومية للمشتغلين بالعلم وللأفراد العاديين. وقد صرح ميلز: لا يمكن فهم حياة الفرد ولا تاريخ المجتمع دون فهم كليهما(١٧). ويربط الخيال الاجتماعى بين التحديات الشخصية والقضايا الاجتماعية الأكبر، ويسمح للأفراد برؤية العلاقات بين الأحداث فى حياتهم الشخصية (السيرة الذاتية)، والأحداث فى مجتمعهم (التاريخ). بمعنى آخر، توفر هذه العقلية القدرة للأفراد على إدراك العلاقة بين تجاربهم الشخصية والمجتمع الأكبر الذى يعيشون فيه حياتهم.

ولقد أدى الخيال السوسيولوجى عندما تعامل مع الرياضة باعتبارها ممارسة اجتماعية، إلى تبنى مقاربة تتسم بالاتساع والشمولية، ونظرة تحليلية وتأملية ونقدية، تتضمن علاقة الرياضة بكافة أبعاد الواقع الاجتماعى، مع الأخذ فى الاعتبار إطار الكلية التاريخية، وبهذا استطاع علماء الاجتماع من خلال خيالهم السوسيولوجى فتح آفاق وفضاءات فكرية داخل الحقل الرياضى، من أجل فهم أوسع للرياضة كظاهرة اجتماعية، تتجاوز حدود المجتمعات الوطنية.

وانعكس ذلك فى أواخر الثمانينيات من القرن الماضى، عندما قدم كل من "جان هارفى" Jean Harvey و"هارت كانتيلون" Hart Cantelon رؤيتهما للرياضة والقول بأن: الرياضة فى المقام الأول نشاط اجتماعى، والمشكلات الرياضية التى تتحدث عنها وسائل الإعلام كل يوم هى فى الأساس مشاكل اجتماعية، وإن الرياضة ليست مجرد لعب ولهو، واسترخاء للعضلات، ولا مجرد سلسلة من الإيماءات الحركية الخالية من الأهمية الاجتماعية، إنها مجموعة من التفاعلات والأبنية الاجتماعية، والممارسات البدنية والرموز الثقافية، ويتم تأسيسها وتشكيل توجهاتها وأهدافها منذ البداية من قبل مختلف الفاعلين الاجتماعيين(١٨). ثم لخص "بيتر دونيلى" Peter Donnelly كل هذا بقوله: إن الرياضة انعكاسية، أى تعكس المجتمع بكل تفاصيله، وأنها تعتمد على إعادة الإنتاج، وأنها أيضًا، كثيرًا ما تصبح فعلًا للمقاومة(١٩). لقد أصبح من المهم تتبع العلاقات القائمة بين الرياضة والعوالم الاجتماعية الأخرى، على سبيل المثال: ترتبط الرياضة بقضايا المجتمعات المحلية والسياسة الخارجية، والأعمال التجارية الكبرى، والتدهور البيئى، وإضفاء الأبعاد الصحية والطبية على الحياة الاجتماعية، والتنشئة الاجتماعية للمواطنين.

ثانياً: المقاربات النظرية للرياضة فى علم الاجتماع والعلوم البينية

نظرًا لأن علم اجتماع الرياضة تطور باعتباره تخصصًا فرعيًا فى علم الاجتماع بداية من النصف الثانى من القرن المنصرم؛ علاوة على المحاولات التى بُذلت فى العلوم الاجتماعية الأخرى، فليس من المستغرب أن تكون المقاربات والنظريات المفسرة للرياضة، والتى استخدمها عدد من الباحثين فى العلوم الاجتماعية، هى تلك الاتجاهات النظرية السائدة فى ذلك الوقت، وسوف تركز الدراسة فيما يلى على عرض الاتجاهات النظرية الأكثر رواجًا فى دراسات وأبحاث الرياضة سواء فى علم الاجتماع أو العلوم الأخرى، والتى حاولت تقديم تفسير للرياضة، خلال العقود القليلة الماضية.

١- البنائية الوظيفية ومقاربة الرياضة

تعتبر البنائية الوظيفية من أقدم التقاليد النظرية فى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وظلت من خلال أعمال بعض روادها، خاصة "تالكوت بارسونز[٢٠]" Talcott Parsons، و"روبرت ميرتون" Robert C. Merton، بالإضافة إلى اتباعهما وطلابهما، النظرية الاجتماعية السائدة لسنوات عديدة، لكن على مدار العقود القليلة الماضية، تراجعت أهميتها بشدة، على الأقل فى بعض النواحى، إلا أن ذلك التراجع لا يمنع أن يجد بعض الباحثين المعاصرين أدوات مفيدة للتحليل الاجتماعى فى ثنايا التراث العلمى للبنائية الوظيفية[٢١].

على هذا الأساس، ظهرت البنائية الوظيفية وفرضياتها فى علم اجتماع الرياضة، وهذا ينطبق بشكل خاص على الدراسات التى تركز على الرياضة كنسق، وكآلية للتكامل الاجتماعى، وبالرغم من ذلك شكك "جيرالد كينيون" Gerald Kenyon فى هذا الرأى، فمن خلال مراجعة شاملة لتراث علم اجتماع الرياضة، خلُص إلى أن المساهمات الجادة القائمة على مقاربة وظيفية واضحة فى علم اجتماع الرياضة، كانت نادرة[٢٢].

وتجسد تأثير الوظيفية على علم اجتماع الرياضة بشكل أوضح ما يكون فى الولايات المتحدة الأمريكية، خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى، وتم النظر للرياضة باعتبارها تعكس المجتمع، الذى هو نفسه قائم على نظام اجتماعى، يتجلى فيه الإجماع والقيم المشتركة، أبرزت الحسابات الوظيفية أن المجتمع يتكون من الأنساق المترابطة، التى تسهم فى تلبية احتياجات النظام الاجتماعى، ولذلك ركزت الوظيفية على تقييم الوظائف الاجتماعية للدين والتعليم والقانون وغير ذلك من أنساق المجتمع، على سبيل المثال: من حيث مساهمتها فى تلبية المتطلبات الوظيفية للمجتمع، بناءً على ذلك، كان ينظر إلى الرياضة بشكل مماثل، أى من حيث وظيفتها الاجتماعية[٢٣].

ويمكن ملاحظة التحليلات الوظيفية الأكثر وضوحًا للرياضة فى كتاب عدد من العلماء، على سبيل المثال: هارى إدواردز Harry Edwards، وكاليفى هاينيلا Kalevi Heinila، وغونتر لوشن Gunther Lüschen، وكريستوفر ستيفنسون Christopher Stevenson. ففى عام (١٩٦٧)، ناقش "غونتر لوشن" الرياضة من وجهة نظر بارسونزية بحتة، عندما نشر دراسته حول الترابط بين الرياضة والثقافة، وأشار إلى أن وظيفة الرياضة الحديثة محددة بصيانة النمط وتكامله، ثم عاد بعد

خمسة عشر عامًا (١٩٨١) وقدم تحليلًا بنائيًا للرياضة، من خلال أنظمتها الداخلية والخارجية، واعتبر الرياضة– لا سيما فى المسابقات الرسمية– بنية أساسية للوجود البشرى، وبالإضافة إلى ذلك قدم كل من "كريستوفر ستيفنسون" و"جون نيكسون" مساهمات مبكرة فى هذا السياق، وحددوا خمس وظائف أساسية للرياضة على المستوى المجتمعى، وذلك على النحو التالى(٢٤):

أ– الوظيفة الاجتماعية والعاطفية، حيث تسهم الرياضة فى الحفاظ على الاستقرار الاجتماعى والنفسى.

ب–التنشئة الاجتماعية، حيث تسهم الرياضة فى غرس المعتقدات والأعراف الثقافية.

ج–الوظيفة التكاملية، حيث تسهم الرياضة فى الاندماج المتناغم للأفراد والجماعات المتباينة.

د– الوظيفة السياسية، حيث تستخدم الرياضة لأغراض أيديولوجية.

هـ–وظيفة الحراك الاجتماعى، حيث تعمل الرياضة كمصدر للحراك الطبقى.

٢- الماركسية ومقاربة الرياضة

ليس من المستغرب أن يقول "نوربرت إلياس" Norbert Elias بأن "كارل ماركس" أول شخص نجح فى وضع نموذج نظرى شامل ومتماسك للمجتمع البشرى، وتم تطويره على أساس منظور الفئات الضعيفة والمهمشة والأكثر فقرًا من الناس، وقد لا يفهم بعض الباحثين الشباب التأثير غير العادى وبعيد المدى لعمله فى عصرنا الراهن، الذى تزايدت فيه مستويات عدم المساواة واتسعت الفجوات بين البشر، وأصبح الفقر يضرب ملايين البشر(٢٥).

وبالرغم من أن "كارل ماركس" Karl Marx أسس نظريته على نقد "الاقتصاد السياسى" إلا أنه يجب فهمه باعتباره عالم اجتماع، كما أن تطوير النظريات الماركسية Marxist Theories سواء على يد ماركس أو الآخرين هو أمر معقد وممتد تاريخيًا، خاصة وأن النظرية الماركسية تتبنى مقاربة متعددة التخصصات، وتقوم على الدمج بين الدراسات الفلسفية والأنثروبولوجية والتاريخية والاقتصادية، إضافة إلى أنه من المهم التمييز بين عدة اتجاهات ومقاربات داخل الماركسية ذاتها، وفقًا لمراحل تطورها، وأخيرًا أن ننتبه إلى الماركسية كأيديولوجية سياسية، تطبق على تفسير التكوينات المجتمعية والعمليات الاجتماعية المختلفة، مثل: تأسيس الأحزاب السياسية، والحركات الاحتجاجية.

ومع عدم ترحيب "إلياس" بالنظرية الوظيفية، التى تعرضت للعديد من الانتقادات، وعدم تفضيله لمفاهيمها الأساسية، مثل: النسق، ومتغيرات النمط، على أساس أنها تختزل كل شىء متغير إلى شىء ثابت، أصر "إلياس" على أن التغيير ليس خارجيًا، أو حالة عرضية للحالة الطبيعية، بل على العكس من ذلك، يعتبر التغيير هو الوضع الطبيعى للوجود فى كل مكان، ولقد انتشرت هذه الأفكار والرؤى التى طرحها "إلياس" خاصة بعد ترجمة مجلدين من كتابه الموسوم بـ "عملية الحضارة" إلى اللغة الإنجليزية[٢٦]، هنا بدأت مقاربة "إلياس" التحرر من موقعها الجغرافى، وتنتشر فى محيطات بعيدة فى علم الاجتماع[٢٧].

على هذا الأساس، نظرت الماركسية إلى الرياضة باعتبارها موضوعًا اجتماعيًا مثيرًا للاهتمام يوفر تحديًا مثيرًا للاستفسارات الاجتماعية، ويمكن أن يساعد أيضًا فى دفع المناقشات حول العلاقة بين الاستفسارات التجريبية والنظرية، وينطبق هذا أيضًا على علم الاجتماع الماركسى بشكل عام والأبحاث الماركسية فى الرياضة بشكل خاص.

ولقد تطورت التحليلات الماركسية للرياضة قبل ظهور الاهتمام بالرياضة بين الباحثين الماركسيين؛ حيث كان أعضاء الحركات الاشتراكية والشيوعية فى أوروبا قد طوروا اهتمامًا شديدًا بالرياضة منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ولقد اعتبروا الرياضة ممارسة اجتماعية ذات أهمية سياسية كبيرة. بالإضافة إلى ذلك، فقد انتقدوا المحتوى الأيديولوجى للرياضة. وقد تأسست النظرية الماركسية عن "الثقافة البدنية" والرياضة (جنبًا إلى جنب مع البحث الاجتماعى) خلال النصف الثانى من القرن العشرين من قبل العلماء الماركسيين، الذين كانوا يدعمون بطرق مختلفة المنظمات والحكومات الاشتراكية والشيوعية (على سبيل المثال: الاتحاد السوفيتى؛ وبعد الحرب العالمية الثانية "الكتلة الشرقية"). ويعتمد بحثهم على افتراض أن الرياضة هى ظاهرة اجتماعية وتاريخية[٢٨].

ويصبح السؤال المهم فى هذا السياق مؤداه: ما هذه العمليات المبكرة للثقافة البدنية الاشتراكية/ الشيوعية بما فى ذلك الرياضة التى اكتسبت بشكل متزايد أساسًا تجريبيًا فى النظرية الماركسية، وفيما بعد، فى علم الاجتماع الماركسى للرياضة؟ ويمكن الإجابة عن هذا التساؤل، من خلال عدد من الآراء، وذلك على النحو التالى:

- هناك اتفاق عام على أن الاهتمام والمشاركة فى الرياضة (غير الرسمية والمنظمة) لأعضاء الطبقة العاملة قد نما خلال الفترة من منتصف القرن التاسع عشر، حتى ثلاثينيات القرن العشرين، خاصة فى بريطانيا. ويمكن التأكيد على ذلك من خلال أنه بحلول عام ١٨٧٠ أصبحت بعض الألعاب الرياضية، مثل: كرة القدم والرجبى، إلزامية فى غالبية المدارس الإنجليزية، بجانب ممارستها فى المصانع وعدد من الفضاءات الأخرى[٢٩].
- وفى ألمانيا، ومنذ خمسينيات القرن التاسع عشر فصاعدًا، نظمت حركة الطبقة العاملة بعض النوادى الرياضية، على سبيل المثال، فى لايبزيغ Leipzig– وهى ثانى أكبر مدن ولاية ساكسونيا فى شرق ألمانيا– قاومت هذه الحركة جميع التيارات السياسية المضادة (من قبل النظام الملكى والأرستقراطية، على سبيل المثال) وكانت مسئولة عن تأسيس جمعية الجمباز العمالى فى عام ١٨٩٣. وقد تأثرت حركة الجمباز والرياضة للطبقة العاملة ذات التوجهات السياسية والأيديولوجية بشدة بالحزب الاشتراكى الديمقراطى (الحزب الاشتراكى الألمانى) وبرنامجه الاشتراكى.
- أما فى الاتحاد السوفياتى، فقد ظهرت أول حركة رياضية اشتراكية– شيوعية نظمتها الدولة مباشرة بعد الثورة فى عام ١٩١٧، وتم تنظيم الرياضة وممارستها بشكل أساسى بهدف تحسين لياقة الأمة[٣٠].

لقد تحول علم الاجتماع الأوروبى بشكل متزايد إلى النظريات الماركسية، لشرح الصراعات وعدم المساواة المتجذرة فى المجتمع، ودور المصالح الاقتصادية والعلاقات الاستغلالية التى يقوم عليها النظام الرأسمالى، وتم إيلاء الاهتمام لطرق توزيع الموارد الاقتصادية بشكل غير عادل، والدور الذى تلعبه الطبقة الاجتماعية داخل المجتمعات، وكيف كانت السلطة قائمة على الملكية والسيطرة على وسائل الإنتاج الاقتصادية، وعلى ضوء ذلك، كان يتم النظر إلى الرياضة والمشاركة فيها واستهلاكها على أساس أنهما يعكسان ويعززان العلاقات الطبقية، ويتم استخدام نظام الرياضة للحفاظ على مصالح الأقوياء[٣١]. كما أن استهلاكها من قبل الطبقات العاملة والفقيرة، يشتت انتباهًا عن الانخراط فى موقف أكثر انتقادًا ضد عدم المساواة فى النظام الرأسمالى، فى الواقع المنظورات الماركسية، كانت تتعامل مع الرياضة نفسها على أنها مشوهة بسبب دور رأس المال

والمصالح السياسية والاقتصادية الأوسع، وأنه تم تقويض عناصر اللعب فى الرياضة، وأصبحت الرياضة على نطاق واسع "أفيون الجماهير"[٣٢].

لقد أكد النقد الأوروبى الماركسى الجديد للرياضة أن الرياضة متورطة فى التنشئة الاجتماعية للأفراد على الانضباط والخضوع، وأنها لم تعكس المجتمع الرأسمالى فحسب، بل ساعدت على إعادة إنتاجه، وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع ككل. وفى هذا السياق، أكد "وليم مورجان" William Morgan أن النظرية الماركسية الجديدة، الخالية من التشوهات الأيديولوجية، تمثل أحد أكثر المقاربات النقدية الواعدة لفهم تعقيدات ودقة الرياضة الحديثة[٣٣].

٣- الدراسات الثقافية وعلم اجتماع الرياضة

تعتبر الدراسات الثقافية Cultural Studies إحدى المقاربات الأساسية للرياضة من خلال أبعادها الثقافية، وبشكل مبسط تهتم الدراسات الثقافية بالأهمية الاجتماعية والتحليل المنهجى للممارسات والتجارب والمؤسسات الثقافية، وتتميز بأنها وجهت الانتباه إلى "العالم اليومى للواقع المعاش"، وتقديم تحليل نقدى له– مثل: الأنشطة التى يشارك فيها الناس، والمشاعر التى يولدونها، والمعانى المرتبطة بها– ونظرًا لأن الرياضة تمس حياة الملايين من البشر فى جميع أنحاء العالم، فإن منظور الدراسات الثقافية، يوفر طريقة مهمة لفهم أهميتها الاجتماعية، ومضمونها الثقافى[٣٤].

وتتمثل إحدى الصعوبات المباشرة فى ترسيخ الدراسات الثقافية فى تقليد اجتماعى معين فى أنها متعددة التخصصات بطبيعتها، وتستند إلى خطابات أكاديمية متنوعة مثل: دراسات الاتصال، والتاريخ، والنقد الأدبى، والفلسفة، والسياسة، والسيميولوجيا، وكذلك علم الاجتماع، ولذلك توصف بأنها "ليست مجرد تخصص"، ولكنها مجال تتقاطع فيه التخصصات المختلفة فى دراسة الجوانب الثقافية للمجتمع[٣٥].

ومع بداية الثمانينيات، تم إيلاء الاهتمام بشكل متزايد لدور الثقافة فى دراسة الرياضة وفهمها، وتجسد ذلك فى إسهامات كل من "ريتشارد غرونو" Richard Gruneau، من خلال كتابه الموسوم: الطبقة والرياضة والتنمية الاجتماعية، و"جون هارجريفز John Hargreaves، من خلال كتابه الموسوم بـ: الرياضة والثقافة والأيديولوجيا، وطوال الثمانينيات والتسعينيات حلت سرديات

الماركسية الجديدة والدراسات الثقافية محل الماركسية التقليدية، وتم التركيز على الرياضة كجزء من العلاقات الثقافية الأوسع، وكموقع يتم فيه إنتاج الثقافة وإعادة إنتاجها، وتم التحقيق فى الثقافات الرياضية الفرعية، ولقد وجدت الدراسات الثقافية تعبيرًا عنها فى دراسات ما بعد الحداثة للرياضة التى برزت فى التسعينيات وطوال العقد الماضى(٣٦).

فى مجمل إسهامات الباحثين فى مجال الدراسات الثقافية، يُنظر إلى الرياضة على أنها جانب من جوانب الثقافة التى تجسد النضال والتنافس، وينصب الاهتمام على العمليات التى يتم من خلالها إنشاء الممارسات الثقافية والأيديولوجيات والمعتقدات الكامنة وراء تلك الممارسات وإعادة إنتاجها وتغييرها من خلال الفاعل البشرى والتفاعل الاجتماعى.

كما تُفهم الرياضة وأوقات الفراغ على أنها ليست محددة بالكامل ولا مستقلة تمامًا، ولكنها فضاءات من الحياة يمكن أن تكون مواقع نزاع بين المجموعات المسيطرة والتابعة. علاوة على ذلك، وجد كل من "كلارك" و"كريتشر" مفهوم الهيمنة Hegemony مفيدًا فى شرح: أولًا: فاعلية القيادة عن طريق الإقناع- لا سيما من خلال الأحداث اليومية فى حياتنا. ثانيًا: عدم اكتمال الصراع الثقافى والتوترات المتأصلة فيه. ويجادلان بأن "الترفيه كان ولا يزال جزءًا لا يتجزأ من النضال من أجل الهيمنة فى المجتمع"، ويتجلى من خلال الصراع الثقافى حول المعانى ومن خلال التحكم فى وقت الفراغ فى حياة الناس(٣٨).

ومع التقدم فى تكنولوجيا الإعلام والاتصالات، وبسبب الشعبية الاستثنائية للرياضة، كانت مسألة التمثيلات الإعلامية قضية رئيسة فى عمل أتباع الدراسات الثقافية، ومن أولى الدراسات الثقافية القائمة على كشف العلاقة بين وسائل الإعلام والرياضة، دراسة كل من "آلان" Alan، و"جون كلارك" John Clarke عام ١٩٨٢، وكشفًا من خلالها كيف أن الرياضة "متورطة" فى إعادة إنتاج وسائل الإعلام ونقل الموضوعات والقيم الأيديولوجية السائدة فى المجتمع" بطرق متنازع عليها ومتناقضة(٣٨).

وبالرغم من هذا العرض المختصر لمنظور الدراسات الثقافية، فإنه يمكن القول، إنه بالرغم من التطور غير المتكافئ والتعليقات النقدية على نموذج الدراسات الثقافية، إلا أنها قدمت مساهمة كبيرة فى فهمنا للعلاقات المعقدة بين الثقافة (الرياضة) والسلطة، وحول فاعلية الثقافة.

ثالثاً: قضايا علم اجتماع الرياضة وإشكالياته فى عصر ما بعد الحداثة

منذ ما يمكن أن نطلق عليه المنعطفات التأويلية والتاريخية فى الثمانينيات، وتنوع وجهات نظر ما بعد الحداثة، التى تطورت منذ التسعينيات، جنبًا إلى جنب مع التطور السريع والواسع للدراسات الثقافية والإعلام ودراسات العرق والجندر، عكست أبحاث وكتابات علماء اجتماع الرياضة بشكل متزايد التركيز على عدد من القضايا والإشكاليات، مثل: النوع الاجتماعى والرياضة، والعولمة والاستهلاك، وغير ذلك، ونظرًا لأهمية بعض هذه القضايا التى تم التركيز عليها، والتى جاءت تحت تأثير أفكار وتحولات ما بعد الحداثة، تقدم الدراسة فيما يلى تحليل ونقد لبعض القضايا التى تم التركيز عليها فى علم اجتماع الرياضة، كرد فعل لما أحدثته الحداثة وما بعدها من تحولات فكرية وعملية، وذلك على النحو التالى:

١- علم اجتماع الرياضة وقضايا النوع الاجتماعى

تبلور وتطور الاتجاه النسوى من خلال سؤال بسيط مؤداه: ماذا عن النساء؟ بمعنى أين النساء فى أى موقف يتم تقصيه، وفى الإجابة عن هذا السؤال، أنتج البحث النسوى بعض الإجابات القابلة للتعميم؛ فالنساء حاضرات فى معظم المواقف والتفاعلات الاجتماعية، وعندما لا يكون لهن وجود فى أى موقف، فإن هذا لا يرجع إلى أنهن ينقصهن القدرة أو الاهتمام، وإنما لأن هناك جهودًا متعمدة لإقصائهن(٣٩). وبناء على ذلك، يكون السؤال المطروح هنا مؤداه: أين النساء فى المجال الرياضى؟

فكثيرًا ما يُنظر إلى الرياضة على أنها "مدرسة للذكور"، فى وقت يشهد تغيرًا سريعًا فى العلاقات بين الجنسين، وتزايدت القوة الاجتماعية للمرأة، ولذلك كثيرًا ما قيل: إن الرياضة آخر معاقل القوة الذكورية، بالإضافة إلى دورها فى إعادة إنتاج العلاقات بين الجنسين، وأنها تعوق فى كثير من الأحيان المساواة الجندرية، ترتب على ذلك تحول مهم فى علم اجتماع الرياضة خلال عقد الثمانينيات، وهو تزايد وجود الاتجاه النسوى فى دراسة الرياضة وتفسيراتها.

بناءً على ذلك، ظهر أحد الانتقادات الرئيسية لمسار الدراسات الثقافية فى مجال علم اجتماع الرياضة، وهو فشلها فى فهم علاقة الرياضة بالسياسة الجندرية، ولقد جادلت بعض النسويات فى

مجال الرياضة والترفيه، اللواتى ينتمين إلى منظور الدراسات الثقافية، بأنه كان هناك اختلال كبير فى التركيز بين الجنسين[٤٠].

كما أنه من الواضح أن الرياضة بدأت كنشاط قائم على النوع الاجتماعى، أى نشاط لا يرحب فقط بالفتيان والرجال بحماس أكبر من الفتيات والنساء، ولكنه يعمل أيضًا كموقع للاحتفال بالمهارات والقيم التى تم تمييزها بوضوح على أنها "ذكورية"، وبالتالى ليس من المستغرب، أن يجد الباحثون النسويون الرياضة موقعًا منطقيًا لتحليل العلاقات بين الجنسين، وعندما نتحدث هنا عن "النظرية النسوية والرياضة"، فإن المقصود عمومًا ليس فقط دراسة النوع الاجتماعى فى الرياضة، ولكن كيف يدرسه الباحث؟ فالادعاء بأن الباحث يقوم بتحليل نسوى، يعنى الالتزام بنهج نظرى صريح، يتلخص فى تفسير الرياضة كنشاط إنسانى.

وفى عام ١٩٧٨، ظهر كتابان فى أمريكا الشمالية يمثلان تحولًا مهمًا نحو النظرية النسوية: كتاب حررته "كارول أوجليسبى" Carole Oglesby بعنوان "النساء فى الرياضة: من الأسطورة إلى الواقع" (١٩٧٨)، ودراسة آن هول Ann Hall بعنوان "الرياضة والجنس: منظور نسوى فى علم اجتماع الرياضة". (١٩٧٨). بعد ذلك بعامين، كان تأثير النظرية النسوية على الرياضة واضحًا[٤١]، وتجسد فى العديد من المؤتمرات والمناقشات العلمية، التى برزت فيها الباحثات النسويات.

وبالرغم من أن النسوية تتضمن عددًا من المقاربات (على سبيل المثال: النسوية الثقافية، نظريات الاختلاف الجنسى، النسوية الراديكالية، النسوية التحررية، نسوية التحليل النفسى) فإنه تم الاتفاق بين مختلف المقاربات على مركزية النوع الاجتماعى فى فهم المجتمع، وقد نما هذا الاتجاه فى المجتمعات الغربية خلال الثمانينيات وما بعدها، وفى البداية كانت النسويات الليبراليات معنيات بضمان تمتع النساء بالمساواة والمعاملة المتساوية داخل الرياضة، وخلال التسعينيات، نمت شعبية الاتجاه النسوي، وجمعت بعض الباحثات النسويات مثل "جينيفر هارجريفز" بين المقاربة الماركسية والنسوية، واستخدمت التحليل الطبقى والجنسانى لطرح أسئلة حول الدور الذى تؤديه الرياضة، ليس فقط فى عدم المساواة، ولكن فى تفاقم عدم المساواة وتجذيرها ثقافيًا، وبناءً على ذلك تم النظر فى إعادة صياغة مفهوم الرياضة ووظيفتها من خلال رؤى نسوية[٤٢].

ومع توجيه المزيد من الجهود النسوية نحو الأجندة البحثية فى الرياضة، وتطور المقاربات النقدية صراحةً لتطول السلطة وكيفية إعادة إنتاج العلاقات بين الجنسين، ومقاومتها وتحويلها من خلال الرياضة، كانت الدراسات الثقافية، أو بالأحرى، الدراسات الثقافية النسوية هى المنتج المنطقى للحركات الرامية إلى تنظير الاختلاف من خلال التوليف بين المقاربات النسوية المختلفة، وتم تطوير الدراسات الثقافية فى البداية فى إنجلترا، وكان لها تأثير كبير على دراسة الرياضة فى أمريكا الشمالية أيضًا، وتستند الدراسات الثقافية إلى افتراض أن السلطة موزعة بشكل غير عادل فى جميع أنحاء المجتمع، غالبًا على أساس؛ الجنس والطبقة والعرق، وعلاقات القوة هذه ليست ثابتة، بل متنازع عليها، على الرغم من أن جمود السلطة يقع عمومًا على عاتق من هم بالفعل فى السلطة، إلا أن السلطة فى الواقع موضع نزاع دائم، هذا الصراع هو ما يثير اهتمام العلماء الذين يتبنون المنهج النقدي، علاوة على ذلك، ، لا يتم الحفاظ على السلطة عادة بالقوة أو الإكراه، ولكن من خلال أشكال أكثر دقة من الهيمنة الأيديولوجية Ideological Dominance، فالأيديولوجيا بالأساس؛ هى مجموعة الأفكار التى تخدم مصالح الجماعات المهيمنة، ولكن يتم تناولها على أنها الحس المجتمعى السليم، حتى من قبل أولئك الذين يعانون من نقص القوة، وتعتبر الرياضة موقعًا عامًا بشكل خاص لمثل هذا الصراع الأيديولوجى: "ما يتم التنازع عليه... هو بناء العلاقات بين الجنسين، والمعانى التى يتم إضفاؤها على هذه العلاقات"، ولقد تم الاعتراف بوضوح بفائدة المفردات النظرية للدراسات الثقافية لاستكشاف تقاطعات الجنس والعرق والطبقة فى الرياضة(٤٣).

ولقد حددت "بيرل" Birrell أربعة محاور أساسية لبحوث الدراسات النسوية الثقافية النقدية فى مجال الرياضة، وذلك على النحو التالى(٤٤):

أ- إنتاج الأيديولوجية الذكورية وقوتها من خلال الرياضة.

ب-الممارسات الإعلامية التى يتم من خلالها إعادة إنتاج المفاهيم السائدة عن المرأة.

ج- الجسد كموقع لتحديد بنية العلاقات بين الجنسين.

د- مدى مقاومة المرأة وصمودها أمام الممارسات الذكورية السائدة فى المجال الرياضى.

وأخيرًا، يمكن القول بأنه بالرغم من أن التنظير نشاط صعب ومكافئ فى حد ذاته، ولكن كنظرية نقدية، تلتزم النظرية النسوية بإنتاج أطر للفهم يمكن أن تكون بمثابة أساس لتغيير

اجتماعى عميق ومدروس، وأن أفضل وصف لربط قضايا النوع الاجتماعى بالممارسة الرياضية هو توفير الأسس النظرية للحجج التى تقدمها جماعات المناصرة؛ لأنها تعمل على معالجة عدم المساواة وزيادة الفرص للفتيات والنساء فى الرياضة، ويشارك البعض فى مشاريع بحثية خاصة مع اهتمام واعٍ بتحديد العوائق التى تحول دون مشاركة الفتيات والنساء، ومساعدة الفتيات على اكتشاف الرياضة والاستمتاع بها، وتعد تقاليد البحث فى التنشئة الاجتماعية ونماذج الأدوار والإرهاق التدريبى أمثلة على هذا الدافع، وهناك جهود نسوية أخرى تقوم بتقييم وتوثيق أوجه عدم المساواة والظلم فى الرياضة، على المستويين العملى والأيديولوجى، وبناءً على ذلك، طالما تضمنت الثقافة امتياز النوع الاجتماعى، وطالما ظلت الرياضة موقعًا مفضلاً لإعادة إنتاج هذا الامتياز– وليس هناك احتمال لتغيير تلك العلاقات الأساسية فى المستقبل المنظور– ستستمر النظريات النسوية فى تقديم مساهمات أساسية لفهمنا لمعانى الرياضة فى الثقافة المجتمعية.

٢- الرياضة والسياسة: النهج الخفى لفرض القوة والسيطرة

تقليديًا، تم الاعتراف بالعلاقات القائمة بين السياسة والرياضة، وأن غالبية النظم السياسية والقادة فى العالم الغربى والعربى استثمروا فى الرياضة، بدرجات مختلفة؛ وذلك بشكل أساسى لغرض التعبئة الجماهيرية حول أيديولوجية دولة الحزب الواحد وحول شخصية الزعيم، كما تتعامل بعض الحكومات مع الرياضة والأحداث والإنجازات الرياضية باعتبارها آلية إلهاء للشعوب، أو بمثابة المخدر، الذى يأخذ الشعوب بعيدًا عن التفكير فى القضايا السياسية والاقتصادية العامة، وكشكل من أشكال الثقافة الشعبية التى تصل إلى جماهير ضخمة وتتخلل المخيلة الوطنية والعالمية فى أجزاء كثيرة من العالم، تقدم بعض الرياضات– كرة القدم على وجه الخصوص– فضاءً لإنتاج المشاعر والتمثيلات والمعانى الرمزية، التى يمكن أن تؤثر وتوجه الأيديولوجيات والأفعال السياسية.

وكثيرًا، ما يتم تأكيد هذا التصور من خلال نص من كتاب "الأمير" لمكيافيلى الذى يقول فيه: إنه "ليس أمام الأمير من طريق إلى الحكم أو إلى تأسيس الدولة، سوى القوة، ولا مناص أمامه من أن يكون مرنًا بما فيه الكفاية ليلتف حول كل عرض يعرض وكل ريح تهب". وبالتالى، لن يفوت أحد الحكام استغلال إستاد ممتلئ بالجماهير، تتحكم فيها العاطفة والتحيز والتعصب الكروى لفريقها المحبَّذ، لصالحه(٤٥).

ولكن فى هذا السياق، سوف يتم التطرق لهذه الفكرة بشكل مختلف، خاصة وأن المشهد المتغير للعلاقة بين السياسة والرياضة فى سياق الحداثة وما بعدها، كان وما زال موضوعًا للنقاش الأكاديمى على مدار العشرين عامًا الماضية.

فالتحولات فى العلاقة بين السياسة والرياضة، ارتبطت بتغير فى الطريقة التى تنتهجها النظم السياسية لفرض السلطة والقوة، من طريقة شاملة، يتم استخدامها داخل المجتمعات القائمة على غرس الانضباط نفسيًا من خلال شبح القلة (أى الإداريين والتكنوقراط داخل مؤسسات الدولة)، ومراقبة تصرفات الكثيرين، إلى نظام جديد، وطريقة للسيطرة تمثل نهجًا تصاعديًا لفرض القوة، حيث تسعى الحكومات من خلالها إلى إقناع المواطنين من خلال عمليات الإغواء التى يتم تنفيذها برعاية الاستهلاك وأدواته؛ مما يخلق حالة يتم فيها تشجيع الأفراد على إدارة مشروعاتهم الحياتية بشكل انعكاسي، من خلال التصرف بناءً على المعلومات ومشاهدة أعمال المشاهير فى عالم الرياضة وما وراءه.

كان الانشغال العلمى بالقوة والسلطة وطرق تطبيقهما فى تنظيم الرقابة والضبط الاجتماعى، قد بدأ منذ صدور كتاب "الأمير"[٤٦] الذى كشف "مكيافيلى من خلاله عن المفهوم للدراسة بداية من القرن السادس عشر. وبعد ذلك ظهر مفهومان بارزان لكنهما متميزان للسلطة، الأول: قدمه "ستيفن لوكيس" Steven Lukes، يربط من خلاله بين القوة والفاعل، ويوضح سياقًا يحاول الأفراد فيه التغلب على بعضهم البعض من خلال التفاعلات المختلفة بينهم وبين الآخرين، هذه المقاربة تصور السلطة ككائن مميز ويقيم فى قاعات القصور أو مكاتب الحكومة، جاهز للتودد من قبل أولئك الذين يمكنهم الوصول إليها، بناءً على ذلك، يمكن تصور علاقات القوة فى الرياضة على أنها تمارس بالكامل على المستوى الشخصى من قبل رؤساء الأندية والمؤسسات الرياضية المختلفة والمدربين والمديرين والوزراء الحكوميين[٤٧].

أما المفهوم الثانى، فظهر من خلال أفكار الفيلسوف الفرنسى "ميشيل فوكو" Michel Foucault، الذى نظر للقوة باعتبارها ظاهرة مرنة ومعقدة لفك تشفيرها، وتنظير كيف تعمل "تقنيات القوة" بطريقة لا تُرى فى معظمها، باستثناء آثارها، فى الحقيقة، تتعامل رؤية "فوكو" مع القوة على أساس أنها تعمل بطريقة حاضرة فى كل مكان، وتتحكم فى الأفراد من بعيد، من خلال ما أطلق

عليه "فوكو" مفهوم الحوكمية[٤٨] Governmentality، ويشير إلى فن الحكم الذى يهدف إلى تنظيم السكان وضبط سلوكهم عبر المعرفة والخطاب السياسى وتقنيات القوة التى توفر لأجهزة الدولة سيطرة على الأفراد من ناحية، وتجعل الذوات الفردية قادرة على الانضباط الذاتي، ومن ثم الخضوع من ناحية أخرى، فالحكومية بهذا المعنى، تجمع بين تقنيات الضبط والنظام من جهة وآليات الانضباط الذاتى للأفراد من جهة ثانية[٤٩].

بهذا المعنى السابق، تصل السلطة إلى عمق الأفراد وتلمس أجسادهم، وتدخل فى أفعالهم وتفاعلاتهم ومواقفهم وخطاباتهم، وعمليات التعلم وممارسات الحياة اليومية، ويمثل هذا المعنى نظرة ثاقبة تؤكد كيف أن كل جزء من الحياة الاجتماعية، بما فى ذلك المجال الرياضى والثقافى متشابك مع تقنيات القوة وأدوات السلطة، التى تساعد على ضبط السكان والتحكم بهم والتلاعب بتصوراتهم– أحيانًا– وتأديبهم من بعيد.

ويتفق الطرح السابق، مع تصورات "زيجمونت باومان" حول خضوع السلطة إلى تغيير جذرى من خلال الانتقال من التنوع الصلب إلى التنوع السائل، وذلك فى مقاربته عن "الحداثة السائلة"[٥٠] Liquid Modernity، وهى عملية كان لها تأثير تحويلى على الطريقة التى يتم بها نشر السلطة وممارستها داخل المجتمع.

ولم يكن المجال الرياضى محصنًا بأى حال من الأحوال ضد هذا التغيير فى تقنيات ممارسة القوة وفرض السيطرة على الشعوب، خاصة وأن الرياضة بطبيعتها تربة خصبة لضبط المشاعر وتنظيم السلوك، وفى هذا السياق، تم استخدام الرياضة كأداة لخدمة مؤسسات الحداثة من خلال غرس شكل من أشكال السلطة التأديبية القائمة على "تقنيات الهيمنة"، وفى جوهرها، عملت هذه التقنيات كمحفز لتطوير العمليات الاجتماعية المرتبطة بالاستبعاد والتصنيف والتفريد والتكتل والتطبيع والمراقبة، ولقد تجلت مثل هذه التقنيات بطرق متنوعة فى مجال الرياضة، وأبرزها كوسيلة للتأثير الداخلى على أفراد المجتمع من خلال ضبطهم فى سلوكيات محددة[٥١].

وعلى هذا الأساس، جاءت مقاربات الرياضة، التى توصف تارة بأنها "أفيون الجماهير" التى تم دمجها لإلهاء الناس عن فكرة الثورة، ونقد الأوضاع السياسية القائمة، وتارة ثانية بأنها "تقنية للمراقبة" مصممة لجعل الأجهزة الأمنية أكثر توافقًا وإنتاجية، وتدريب الشباب والفتيات على أداء

المهام المحددة بطريقة فعالة ومنظمة، مع الخضوع للأوامر واتباع القواعد، كما أنه من المهم الإشارة إلى ارتباط الرياضة بمشروع التمركز العرقى للإمبراطورية، وهى مقاربة تكشف عن كيفية استخدام رياضات ومسابقات رياضية معينة لتسهيل نشر القيم الأوروبية المركزية، بهدف غرس "القيم المتفوقة"[٥٢] المفترضة للأوروبيين. يمكن على خلفية هذا الطرح، تأمل طريقة تنظيم دورى أبطال أوروبا لكرة القدم، أو التسويق للدوريات الغربية، مثل: الدورى الإنجليزى والإسبانى فى كرة القدم.

كما يمكن تأمل توجهات الدول الفقيرة نحو استضافة الأحداث الرياضية، وتوجيه أموال الدولة لمثل هذا الفعل، بالرغم من عدم وجود مثل هذه الأموال فى حال الحديث عن مشكلات الفقر أو تدهور التعليم فى مثل هذه الدول، ويتم تبرير مثل هذه التوجهات من خلال العديد من الادعاءات، مثل: القوة الناعمة للرياضة، التى لديها القدرة على تزويد الدولة والمدن المضيفة بتعزيزات إيجابية من خلال التعرض المفرط لوسائل الإعلام العالمية، وخلق شعور وطنى بالسعادة، نتيجة تحقيق الفرق الوطنية لبعض الإنجازات والنجاحات الرياضية.

وبالإضافة لما سبق، هناك التأويلات الوظيفية لعلاقة السياسة بالرياضة، التى تدور حول العلاقة بين الرياضة والقيم الديموقراطية، فالقيم الأساسية الحاكمة للنشاط الرياضى، تتقاطع مع قيم الحياة الديموقراطية، مثل: التنافس والقبول، والدور السياسى للرياضة التى هى مجال لإثارة الروح الوطنية وتوحيد الشعوب، ورفع مكانة الدولة فى المحافل الدولية وتعزيز صورتها على الساحة الدولية، وأخيرًا، يتم الحديث على الاستثمارات الاقتصادية والأرباح التى يمكن تحصيلها من خلال المجال الرياضى[٥٣].

ومؤخرًا، هناك ثلاثة مجالات بحثية جديرة بالملاحظة ومترابطة حققت فيها الأبحاث حول علاقة الرياضة بالسياسة نجاحات كبيرة، سواء على مستوى علم اجتماع الرياضة، أو على مستوى العلاقات البينية بين علم اجتماع الرياضة وعلم الاجتماع السياسى، وعلم اجتماع الرياضة وعلم السياسة، ويمكن عرض هذه المجالات على النحو التالى[٥٤]:

- سياسات المؤسسات العالمية والفاعلين فى مجال السياسات الرياضية العالمية: لقد ركز البحث متعدد التخصصات بشكل متزايد على المؤسسات الرياضية كمنظمات اجتماعية وسياسية،

تمارس قوة وفاعلية ملحوظة فى المجتمع العالمى المعاصر، كما تم الاهتمام بعدد من وقائع الفساد التى حدثت فى بعض هذه المؤسسات الرياضية العالمية.

- الرياضة والسياسة والهويات: تطرقت بعض البحوث إلى قضية الهوية الرياضية، والأهمية السياسية لأبعاد الهوية للمسابقات الرياضية، من خلال تطبيق مفهوم "القوة الناعمة" Soft Power الذى يشير إلى استخدام الرياضة كوسيلة غير قسرية للقوة والجذب وتحسين صورة الدول على مستوى السياسات الخارجية، وفى هذا السياق، من المعروف أن غالبية الحكومات أدركت أهمية الرياضة، سواء على مستوى تعزيز قوتها الناعمة داخليًا، أو على مستوى زيادة نفوذها ورصيدها من القوة الناعمة على مستوى مسرح السياسة الدولية، يضاف لذلك مؤخرًا، الاستثمار الرياضى[٥٥]، الذى يعد موردًا مهمًا للقوة الاقتصادية والناعمة فى نفس الوقت، إلا أن ذلك لا يمنع ظهور عدد من البحوث التى انتقدت اتجاهات الحكومات لاستضافة الأحداث الرياضية الكبرى، وطرحت عددًا من التساؤلات التى تحتاج للتحقيق الإمبيريقى، مثل: ما الفوائد والمخاطر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لاستضافة مثل هذه الأحداث؟ إلى أى مدى تؤثر مثل هذه الأحداث على الشرعية الداخلية لبعض أنظمة الحكم على المستويات المحلية والوطنية[٥٦]، إضافة إلى رصد تأثير الرياضيين والمحترفين على الحياة السياسية، على المستويين الوطنى والعالمى.
- الرياضة والهويات المعولمة وتغيير القيم الاجتماعية: وركز هذا المسار على تتبع موقع التحولات والبنى السياسية فى الثقافات الرياضية عبر الوطنية، ويجادل أصحاب هذا المسار فى أنه بالرغم من أهمية الأحداث الرياضية العالمية، التى تخلق اهتمامًا عالميًا قصير المدى، قد يكون تأثيرها السياسى النهائى محدود للغاية، مقارنة بعمق واتساع تأثيرها الثقافى، ويهتم هذا المسار أيضًا بفحص قضايا وبنية الهويات والنزاعات المحلية، وفهم السياسات التنافسية فى الثقافة الرياضية الوطنية، ومسارات تطورها عبر التاريخ، هنا يتم التعامل مع البنية الثقافية الرياضية للمحترفين والهواة باعتبارها سياقًا اجتماعيًا، وأشكالًا من الممارسات الاجتماعية، حتى عمليات التشجيع والتعصب، تعكس العديد من السمات والخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمعات المحلية[٥٧].

٣- الرياضة بين العولمة والاستهلاك: أنت برشلونى أم مدريدى؟

مازلت أتذكر وأنا طفل لم يتجاوز الحادية عشرة، وكنت أتابع نهائيات بطولة إفريقيا التى استضافتها مصر عام ١٩٨٦، وحجم الصعوبات التى كنت أواجهها من أجل أن أشاهد المباريات، ولم يكن فى خاطرى أنه من الممكن أن نصل لما وصلت له الرياضة الآن، والتى تم عولمتها بشكل كثيف، للحد الذى يجعل أنه من المنطقى أو البديهى أن تكون مشجعًا لفريق فى دولة (أوروبية) أخرى، وأنه من المعتاد أن يأتى شخص آخر ليسألك: هل أنت تشجع فريق برشلونة أم ريال مدريد؟ هنا أقف وأتأمل كيف صارت كرة القدم (الرياضة) طريقة للتفكير فى كيفية تحديد الناس وهويتهم وتنظيمهم والتعبير عن أنفسهم فى عصر العولمة، ويكشف الواقع العالمى عن مستويات عالية من اندماج الألعاب الرياضية– خاصة كرة القدم– فى الشبكات العالمية والرأسمالية العابرة للحدود، والاستهلاك الثقافى المعولم.

وتاريخيًا، ارتبط انتشار الرياضة الحديثة خارج أوروبا بمجالات نفوذ الإمبراطورية البريطانية الرسمية وغير الرسمية، وبطفرة عالمية مكثفة حدثت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عكست معاييرها وتطورها التنظيمى وانتشارها العالمي، وعززت العمليات العالمية التى كان الغرب يدعمها فى كل من القطاعين العام والخاص، وتم النظر إلى هذه العملية باعتبارها ظاهرة تقدمية وتحررية، فتحت إمكانات لحوار وصداقة إنسانية بين الشعوب، تجد تعبيرًا عن مثل هذه المشاعر فى خطابات اللجنة الأولمبية، ومبادرات الأمم المتحدة التى تسعى إلى استخدام الرياضة وتوظيفها فى معالجة بعض أهداف الألفية، ومن ناحية أخرى، يمكن اعتبار الرياضة وبنيتها العالمية من أعراض مرحلة جديدة يهيمن عليها النظام الرأسمالى الغربى، وأدت إلى نشر الحضارة الغربية وقيمها الاستهلاكية(٥٨).

فالرياضة فى عالم ما بعد الحداثة أو بالأحرى عالم الرأسمالية المتأخرة، ذات الطابع التجارى المفرط، تشارك فئات متنوعة من منتجى الرياضة (الرياضيون، المديرون، الملاك، والإداريون) فى إنشاء أحداث رياضية بالاشتراك مع المستهلكين (أولئك الذين يحضرون الحدث)، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح "مجتمع المشاهدين"، وهناك المتفرجون الرياضيون وهم العملاء العاملون، وهم مسئولون جزئيًا على الأقل عن خلق الخلفية التى تتكشف عليها الدراما الرياضية، ويزيد المتفرجون الرياضيون من قيمة الحدث الرياضى، يمكن أن نضرب مثالًا على ذلك بالدورى الإنجليزى، الذى

أطلق عليه "السلعة الأكثر رواجًا فى كرة القدم العالمية"، بسبب حجم الضجيج الذى يحدثه ومهرجاناته وأجوائه[٥٩].

وواقعيًا، لم تعد الرياضة فى عصر العولمة مجرد تنافس من أجل تحقيق الإنجازات الرياضية والفوز بالميداليات، وتحقيق الأرقام القياسية فحسب، لكنها أصبحت صناعة اقتصادية، تركض نحوها الدول والأندية ورجال الأعمال، بهدف تحقيق أرباح طائلة، لم يعد هناك شىء بالمجان فى الرياضة خاصة بعد دخول الاحتراف كل مجالات الرياضة، حقًا إنه عصر العولمة، يكفى أن نتأمل ظاهرة أن يكون النادى الرياضى هو نادٍ إنجليزي، ويملكه رجل أعمال عربي، ويتضمن هذا النادى عددًا من اللاعبين الذين ينتمون للعديد من الدول. كل شىء فى هذا الظرف أصبح له ثمن، تحولت الرياضة من وسيلة للتسلية والترفيه عن النفس، إلى تجارة وسوق كبير للسلع ذات القيمة[٦٠].

ويمكن الإشارة إلى خمس عمليات عبر وطنية عميقة ومتداخلة وواسعة النطاق، تقف وراء دعم الرياضة الاستهلاكية المعولمة، ويمكن تلخيصها على النحو التالى[٦١]:

- **العولمة Globalization:** تتميز بمجموعة متنامية من الاتصالات عبر الوطنية، ووعى أكبر بالعالم كمكان واحد.
- **التسليع Commodification:** يتضمن تحويل الأشخاص والخدمات والأفكار والأشياء إلى "سلع" ذات قيمة سوقية محتملة أو فعلية، لقد تحول الفضاء الرياضى إلى ما يشبه السوق، محكوم بمنطق الأشياء، وحسابات الربح والخسارة، ويتم تقدير قيمة الفرق الرياضية بما تساويه قيمتها التسويقية، حتى اللاعب ذاته، تحول إلى سلعة، تباع وتشترى[٦٢].
- **الأمننة Securitization:** وتتسم بالمراقبة والضبط الاجتماعى لمختلف الجماعات البشرية والأماكن الاجتماعية، ويتم ذلك غالبًا بتقنيات متطورة، وحاليًا فإن غالبية الأحداث الرياضية محكومة بمنطق الأمننة.
- **الوسائطية Mediatization:** تسجيل الانتشار والتأثير اليومى المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعى، فالتطورات الجديدة فى تقنيات الاتصال الجماهيري، وخاصة تطوير الفضائيات، خلق الأساس لتشكيل البنية العالمية لجماهير الأحداث الرياضية[٦٣].

- **مـا بعـد الحداثـة Post-modernization:** وتتميـز بـالتغيرات الاجتماعيـة الحاسـمة، والتـأثير الاجتماعى المتزايد للعالم الافتراضى والرياضات الإلكترونية.

وفى سياق الرياضة العالمية وثقافة الاستهلاك، يتم تقديم مثال واحد قوى لهذه العمليات، مثل البطولات الرياضية الرائدة عالميًا، مثل: نهائى أبطال أوروبا، أو نهائى كأس العالم التى يتم لعبها فى ملاعب مؤمنة بشدة، ويتم عرضها على شبكات التليفزيون المدفوعة (القنوات المشفرة)، وتسويقها نحو أنماط الحياة الاستهلاكية الجديدة، والأهم من ذلك، أن هذه العمليات ليست موحدة ولا يمكن إيقافها، وبدلًا من ذلك، يتم تبنيها وتجربتها بطرق متفاوتة ومتنوعة، وغالبًا ما تكون متنازعًا عليها، فى هذا السياق يمكن تأمل ممارسات الفقراء ومحدودى الدخل لمشاهدة مثل هذه الأحداث، ودور القراصنة فى فك تشفير القنوات المخصصة، واعتمادًا على السياق، فى هذا الصدد، قد نلاحظ عمليتين إضافيتين: **الأولى** هى الانعكاسية، التى تشير إلى مشاركة أكثر انعكاسًا وانتقادًا للجماهير فى الرياضة العالمية وثقافة الاستهلاك، **والثانية:** التسيس، والتى تتضمن انتقال بعض الجماهير إلى الإجراءات السياسية والاحتجاجات والحملات حول قضايا محددة داخل فضاءات الرياضة العالمية.

هنا، تعمل ملاعب الرياضات المختلفة كمسرح شبه مغلق، تتكشف فيه الدراما الرياضية للمباراة، ويميل إلى استيعاب جمهور متجاوب بشكل خاص، ويمثلون أنفسهم كجزء من الدراما، ويمكن أن يؤثروا على بعض ما يحدث على خشبة المسرح (أرض الملعب)، ويمكن أن يحدث هذا من خلال أكثر أشكال المشاهدة سلبية، وإن كان بشكل مختلف عن التى تنجم من الشدة العاطفية والانفعالية للحشد المنخرط[٦٤].

خاتمة

بالرغم من أن الرياضة تتمتع بقوة شعبيتها العالمية، وفعالية صداها السياسى، سواء على المستويات الوطنية أو العالمية، وثقل وزنها الاقتصادي، إلا أن الرياضة يمكن أن تفقد المنظور الاجتماعى والأخلاقى فى بعض الأوقات، لأن الرياضة تتحرك وتتقاطع عبر مجالات متعددة منها مجال صناعة الترفيه الذى يتميز بالتنافس الشديد والأرباح العالية، كما أن الرياضة يمكن أن تتحول لوسيلة فى يد الحكومات والنظم السياسية غير ديمقراطية.

لكل ما سبق وغيره، تحتاج الرياضة لعلم الاجتماع، بخياله السوسيولوجى وبنظرته النقدية، ومن المؤكد، مقدرة علم الاجتماع على إنقاذ الرياضة من نفسها، وبالرغم من أن هذا لا يعنى أن علماء الاجتماع لديهم دائما الإجابات الصحيحة، لكن على الأقل، يستطيع علم الاجتماع تقديم التفسيرات النظرية والأبحاث التطبيقية، التى يمكن أن تجعل الرياضة قادرة على السير فى مساراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الصحيحة.

من هنا، اعتبرت هذه الدراسة أن علم اجتماع الرياضة أحد الفروع المتخصصة ذات الأهمية، ومن خلال تتبع أصول هذا الفرع وتطوراته، خلصت الدراسة إلى أن علم اجتماع الرياضة يمتلك البنية النظرية والتطبيقية اللازمة للقيام بدور أكثر فاعلية وتأثيرًا على الرياضة، كما أن علم الاجتماع الذين اهتموا بدراسة الرياضة وموضوعاتها وقضاياها وإشكالياتها، خلفوا لنا تراثًا علميًا قويًا ومتنوعًا، يمكن بالاعتماد عليه أن ينطلق هذا الفرع خلال السنوات القادمة إلى آفاق لا حدود لها، وتوقع الكثير من علماء الاجتماع أن علم اجتماع الرياضة، وما يتسم به من تطور وانضباط منهجي، سيخلق نظامًا علميًا يلبى التوقعات العالية المعقودة عليه، وغالبية هؤلاء العلماء، متمسكون بالأمل فى أن علم اجتماع الرياضة، سينتج ثقافة فكرية عقلانية وليست عقائدية، وذات تفكير علمى ولكنها ليست علمية، ومنفتحة ولكنها ليست عبثية، وتقدمية سياسيًا ولكن ليست طائفية[٦٥].

وبنفس الأمل، أتمسك بأن تكون مجمل الأفكار والقضايا التى تطرقت لها هذه الدراسة، بداية نفتح بها آفاق الانتباه والاهتمام بقضايا الرياضة فى مجتمعاتنا العربية، بما يساهم فى فهم وتفسير بعض إشكاليتها، وبما يحقق لعلم الاجتماع دور وفاعلية مستدامة للنهوض بواقع الألعاب الرياضية ومستقبلها، خاصة وأن المنطقة العربية تتواجد بقوة على الساحة الرياضية العالمية فى الفترة الحالية، من خلال تنظيم عدد كبير من الفاعليات والأحداث الرياضية.

المراجع

1- Dominic Malcolm, Sport, Definition of, In The SAGE Dictionary of Sports Studies, London: SAGE Publications Ltd, 2008.

2- Guttmann, A., From Ritual to Record: The Nature of Modern Sport, New York: Columbia University Press. 2004.

3- Andrews, David L. "Sport." Encyclopedia of Social Theory. Edited by George Ritzer. Vol. 2., Thousand Oaks: SAGE Publications, Inc., 2005.

٤- خالد كاظم أبو دوح، الرياضة والخطاب الإعلامى: رؤية سوسيولوجية نقدية، سلسلة قضايا، العدد ٦٦، ٢٠١٠.

٥- ريموند توماس، الظاهرة الرياضية، ترجمة رشيد غفران، مجلة الثقافة العالمية، العدد ١١٠، ٢٠٠٢.

6- Dominic Malcolm, Sport, Definition of, In The SAGE Dictionary of Sports Studies, London: SAGE Publications Ltd, 2008.

٧- أمين أنور الخولى، الرياضة والمجتمع، عالم المعرفة، العدد ٢٠١٦، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦.

8- Dominic Malcolm, "Sport, Social Significance of." The SAGE Dictionary of Sports Studies, London: SAGE Publications Ltd, 2008.

9- Elizabeth CJ Pike et al, The Social significance of Sport, accessed on 27/7/2022, at:

https://www.resarch_gate.net/profile/JayCoakley/publication/227433569_The_social_significance_of_sports/links/53ee532b0cf23733e80c9ccf/The-social-significance-of-sports.

١٠- ثورشتاين فبلن، نظرية الطبقة المترفة، ترجمة محمود محمد مرسى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١١.

11- Peter Donnelly, The Sociology of Sport." in: 21st Century Sociology. Clifton D. Bryant and Dennis L. Peck. Vol. 2., Thousand Oaks: SAGE Publications, Inc., 2007.

12- Baitsch, H. et al. On Sociology of Sport — General Orientation and Its Trends in the Literature. In: Grupe, O., Kurz, D., Teipel, J.M. (eds), The Scientific View of Sport, Berlin: Springer, 1972.

13- Maguire, J., Sport, Sociology of. In: Runehov, A.L.C., Oviedo, L. (eds) Encyclopedia of Sciences and Religions, Dordrecht: Springer, 2013.

14- Dominic Malcolm, The social construction of the sociology of sport: A professional project, International Review for the Sociology of Sport, Vol. 49, No. 1, 2014.

15- John W. Loy, Assessing the Sociology of Sport: On Theory and Method, International Review for the Sociology of Sport, Vol. 50, No. 4–5, 2015.

١٦-خالد كاظم أبو دوح، التنظير فى علم الاجتماع: الاستعارة والخيال، مجلة الفكر المعاصر، العدد الثانى عشر، أكتوبر- ديسمبر، ٢٠١٨.

١٧-رايت ميلز، الخيال العلمى الاجتماعى، ترجمة عبد الباسط عبد المعطى، عادل الهوارى، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦.

18- Peter Donnelly. The Sociology of Sport." in: 21st Century Sociology.

19- Peter Donnelly, Sport and Social Theory, in: Sport and Society, edited by B. Houliha, London: Sage, 2003.

٢٠-لمراجعة إسهام "تالكوت بارسونز" يمكن الرجوع إلى:

- جى روشيه، علم الاجتماع الأمريكى: دراسة لأعمال تالكوت بارسونز، ترجمة أحمد زايد، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١.

٢١-جورج ريتزر، جيفرى ستيبنسكي، النظريات الحديثة فى علم الاجتماع، ترجمة ذيب الدوسرى وآخرين، الرياض: مكتبة جرير، ٢٠٢١.

22- Gerald Kenyon, The significance of social theory in the development of sport sociology, In C.R.Rees, and A.W.Miracle (eds), Sport and Social Theory, Champaign, IL: Human Kinetics, 1986.

23- Maguire, J, Sport, Sociology of. In: Runehov, A.L.C., Oviedo, L. (eds) Encyclopedia of Sciences and Religions, Dordrecht: Springer, 2013.

24- John W. Loy, Douglas Booth. Functionalism, Sport and Society. In: Handbook of Sports Studies. Jay Coakley and Eric Dunning. London: SAGE Publications Ltd, 2000.

25- Rigauer, Bero. Marxist Theories. In: Handbook of Sports Studies. Jay Coakley and Eric Dunning, London: SAGE Publications Ltd, 2000.

26- Elias, N., The Civilizing Process, Oxford: Blackwell, 1978.

27- Rojek, C., The Field of Play in Sport and Leisure Studies. In: Dunning, E., Rojek, C. (eds) Sport and Leisure in the Civilizing Process. London: Palgrave Macmillan, 1992.

28- Rigauer, Bero. Marxist Theories.

٢٩-كريستوفر فيرارو، الإمبريالية، الهوية الثقافية، وكرة القدم، ترجمة وليد رشاد، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٢٠.

30- Rigauer, Bero. Marxist Theories.

31- Maguire, J, Sport, Sociology.

32- Young, T. R. “The Sociology of Sport: Structural Marxist and Cultural Marxist Approaches.” Sociological Perspectives, vol. 29, no. 1, Jan. 1986.

33- William Morgan, “Toward a Critical Theory of Sport.” Journal of Sport and Social Issues, vol. 7, no. 1, Mar, 1983.

34- Hargreaves, Jennifer, Ian McDonald. "Cultural Studies and the Sociology of Sport, in: "Handbook of Sports Studies, Jay Coakley, Eric Dunning (edit), London: SAGE Publications Ltd, 2000.

35- Hall, S, Cultural studies and the Centre: some problematics and problems, In: HallS. et al. (eds), Culture, Media, Language, London: Hutchinson, 1980.

36- Maguire, J, Sport, Sociology.

37- Hargreaves, Jennifer, Ian McDonald, Cultural Studies and the Sociology of Sport.

٣٨- المصدر نفسه.

٣٩- جورج ريتزر، جيفرى ستيبنسكى، النظريات الحديثة فى علم الاجتماع.

40- Hall, M. Ann, ‘The potential of feminist cultural studies’, in Ann Hall M, Feminism and Sporting Bodies, Champaign, IL: Human Kinetics, 1996.

41- Birrell, Susan. "Feminist Theories for Sport.", in: Handbook of Sports Studies. Jay Coakley, Eric Dunning (edit), London: SAGE Publications Ltd, 2000.

42- Hall, A, Feminism and sporting bodies: Essays in theory and practice, Champaign: IL: Human Kinetics, 1996.

43- Birrell, Susan. "Feminist Theories for Sport".

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- أحمد خميس، الكرة والسياسة، مجلة أحوال مصرية، العدد ٦٩، صيف ٢٠١٨.

٤٦- مكيافيلى، الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠٠٤.

47- Swain, S, Sport, Power and Politics: Exploring Sport and Social Control within the Changing Context of Modernity, Int J Social Leis, Vol 2, 2019.

٤٨- آثر الباحث تبنى ترجمة مفهوم governmentality بالحوكمية كما استخدمها عالم الاجتماع المصرى أحمد زايد، تمييزًا للمفهوم عن مفهوم الحوكمة، الشائع استخدامه فى دراسات التنمية، انظر فى ذلك:

- أحمد زايد، من البصاصة إلى الصراع والعنف: آليات المراقبة فى الدولة المصرية الحديثة، مجلة العمران، العدد السادس، ٢٠١٣.

٤٩- المصدر نفسه.

٥٠- زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦.

51- Swain, S, Sport, Power and Politics: Exploring Sport and Social Control within the Changing Context of Modernity.

٥٢- يمكن تأمل ذلك على خلفية، كيف اعتمدت بريطانيا الاستعمارية على كرة القدم فى إدارة مستعمراتها، انظر فى ذلك:

- كريستوفر فيرارو، الإمبريالية، الهوية الثقافية، وكرة القدم، ترجمة وليد رشاد، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٢٠.

٥٣- على الدين هلال، العلاقة بين الرياضة والسياسة، مجلة النهضة، المجلد التاسع، العدد الثانى، ٢٠٠٨.

54- Lars Rensmann, Sports, Global Politics, and Social Value Change: A Research Agenda, Altre Modernità, No. 14, 2015.

55- Danyel, Reiche, Investing in sporting success as a domestic and foreign policy tool: the case of Qatar, International Journal of Sport Policy and Politics, Vol.7, 2015.

56- John Horne, Assessing the Sociology of Sport: On Sports Mega-Events and Capitalist Modernity." International Review for the Sociology of Sport, vol. 50, no. 4–5, 2015.

57- Lars Rensmann, Sports, Global Politics, and Social Value Change: A Research Agenda, Altre Modernità.

58- Maguire, J, Globalization and Sport: Beyond the Boundaries, Sociology, Vol 45, 5, 2011.

59- Andrews, D. L., Ritzer, G., Sport and presumption, Journal of Consumer Culture, 18, 2, 2018.

٦٠- خالد كاظم أبود وح، الرياضة والخطاب الإعلامى: رؤية سوسيولوجية نقدية.

61- Richard Giulianotti, Dino Numerato, Global sport and consumer culture: An introduction, Journal of Consumer Culture, 18, 2, 2018.

٦٢- خالد كاظم أبو دوح، تحليل سوسيولوجى للعنف الرياضى فى المجتمع العربى، مجلة الديمقراطية، العدد ٣٩، ٢٠١٠.

63- John, Horne, "Assessing the Sociology of Sport: On Sports Mega-Events and Capitalist Modernity." International Review for the Sociology of Sport, vol. 50, no. 4–5, June 2015.

64- Andrews, D. L., Ritzer, G., Sport and presumption, Journal of Consumer Culture.

٦٥- انظر:

- Baitsch, H. et al. On Sociology of Sport — General Orientation and Its Trends in the Literature, p. 139.
- John W. Loy, Assessing the Sociology of Sport: On Theory and Method.

Abstract
Sociology of Sport: Theoretical Insights and Applied Issues

Khaled Kazem Abudouh

Since the dawn of mankind, sport is known as a general social practice. Given this fact, it has been considered as a form of an organized physical and entertaining activity that appeared with the reformation of social life in industrial communities in the 19th century. Hence, sport is deemed as a cultural feature of modernity and beyond. Nevertheless, the organized evolution of sport, as a field of social study, remained on the sidelines of academic interest, whether in sociology or social and interdisciplinary sciences.

Therefore, the current study seeks to provide an analytical and critical vision on the sociology of sport in western thought. It also attempts to study the origin and paths of development from a sociological perspective. Furthermore, it explores the main theoretical trends that attempted to interpret sport as a phenomenon in most societies. The study is concluded with a review of several contemporary sport issues and relevant problems, which opens up prospects for knowledge and research for those interested in the sociology of sport through an analytical and critical methodology of the scientific heritage in Western sociology.

Keywords: Sociology of Sport, Sport, Globalization